عليه . ونكتفي بأن نقول لقراء المنار هناك اننا لا نرجح قول أحد في هذه المسألة فليكن ما نشر في السؤال وغيره كأن لم ينشر

رسالة ذي الأذن واعية

ملخص هذه الرسالة ان شيخنا معما عقت المنار لان تليه بغلل من كبه وأكل بدينه جم زعنفة لمقاومة محبيه وقرائه وتكلم فيهم بالباطل ثم عقد اجتماعا دعا اليه بعض سؤلاء المعينين للمنار وبعد ان أسمعهم من الطعن ما ظن انه أظفره بهم قام عالمنهم فحمد الله واثنى عليه ثم قال : ان كنتم تعجبون شأن المؤمنين فقد قال ربنا العالمين (انما كان قول المؤمنين) الآية وقال (فلا وربك لا يؤمنون) الآية فهلموا الى حكم الله . وان كنتم تريدون غير ذلك فانا كم الانكليزية مفتوحة الابواب واعفونا من السباب فبهتوا وعلموا انهم عاجزون عن حزب الحق من جهة الشرع والقانون جميعا . هذا ملخص الرسالة وانما لم ننشرها بنصها لان كاتبها خالف طريقة حزبنا فطعن بهؤلاء المعرضين وذمهم ونحن ندعو الله تعالى ان يلهمنا وإياهم الادب والصواب ويحسن لنا ولهم المرجع والمآب

الرد على كتاب أصول التربية الدينية والفلسفية (*)

(من أول اسم المؤلف)

قد عزمت يا ولدي مقاصمتي ان تربيتك الدينية فاني أردت ان أخلي بينك وبين عقائدك مع علمي بمخالفتي في هذا مخالفة تامة لما تجري عليه الامور عادة ذلك ان العاقل لا يكاد يولد حتى يذهب الى أحد المذاهب التي تتنازع حكومة الدنيا فيتكفل واحد بتقليده دينا محتجين فيه بعدم أهليته (وهو أمر بين الباطل) لان حكم نفسه وبحق عرف بلاده وعوائد قومه وتقاليده الى تحديد الدين

(*) تابع ترجمة كتاب أصول القرن التاسع عشر (راجع فهرس ج ٨)

الذي يجب انتسابه اليه وهو الاستيلاء على نفسه وقد يقول قائل ان الوالدين اذا فعلا ذلك لأنهما يعتبران أنفسهما نائبين عن الامة في القيام عن المولود قبل أن يعرف نفسه بنفسه فأجيبه : اسلمك ذلك ولكني اقول ان كان من حق الامة ان تؤدي الى المولود دينا كان حقا عليها أيضا ان تختار له حرفة وعملا من أعمال الحكومة واذا نصير في حكومة دينية اشتراكية

لا ينبغي ان نجعل ولادة المولود سببا لسلب حريته فان انقسام الوالدين في مذهب الوجدان واختلافهما في الافكار معنى في أيامنا هذه يجعل ولايتهما عليه مشكلة مرتبكة ذلك انه لا حرب الا حرب البيوت فان شأن الوالدين في الدين غالبا ان يكون الاب كافرا والام مؤمنة فكيف يكون الولد اذا تنازعه هذان المؤثران ؟ اقول انه يكون كأهل زمانه حيران عاجزا فانا كثيرا ما نلاقي في الناس شبانا مشغولين بترقيع مراثرهم بخرق من مذاهب المتدينين ، يخيطونها مع آراء الاحرار من المفكرين ، ونصادف آخرين شاكين حائرين مع بقاء اعتصاكهم بأوهام الواهمين ، وقد فشا في الناس التباين والتناقض وعم بينهم التشوش والاختلاط

وأما أنت فانك والحمد لله لم تبتل بشيء من هذه المحن لأني رأيتك لم نعتقد ان من حقنا ان نغتنم فرصة نوم عقلك فندعوك الى انباء ما نحن عليه بدون ان يكون فيه رضاك . واعلم ان لي ككل انسان غيري رأيا في المذاهب الدينية والحكمية التي يختلف الناس فيها وهو لا يلزمك شيئا ولا ينبغي ان تحفل به . «أكرم اباك وامك» ولكن لا تطع الا قبلك فأنت حر ومن حقك ان تسعى وراء معرفة الحق مستعينا في ذلك بالهمة والبسالة والنزاهة ولقد كان هذا السعي لك اليوم خارجا عن وسعك وبعيدا عن مقدورك فيجب الآن أن يكون هو عملك في جميع حياتك

ومن المفروض عليك قبل أن تقتنع بشيء في مثل هذه المسائل الخطيرة ان تبحث فيها وتدرسها فان مثل من يرفض المذاهب الدينية أو الحكمية على غير علم بها كمثل من يقبلها بدون بحث فيها ولا نظر كلاهما مناقض لنفسه ، غير مسدد في رأيه ، ولا شيء في الحقيقة أدعى الى الضحك من

وقاحة احداث الدكاترة الذين يجاهرون بأن المباحث النظرية التي ارتاض بها امثال ديكارت (١) واسبينوزا (٢) وباسكال (٣) ولايبنز (٤) وهيجل (٥) ليست خليقة باتفاتهم وميلهم فالاجلة الاغبياء منهم كلما يطمطمون بها في هذه الايام وهي قول احدهم وهو لم يفتح في حياته صحيفة من كتاب الكون : « مالي ولاضاعة وقتي في حل مالا يسبر غوره من مسائل وجود الله وخلود الروح ووحدة الروح والجسم أو تغايرهما فحسبي الاشتغال بالعلم »

انا لا اشك في أن العلم الآن مشتغل باستئناف عمل الديانات سالكا فيه طرقا اخرى مغايرة لطرقها كل المغايرة فانه يرجو من البحث في الحوادث بحثا تجريبيا ومراقبتها مراقبة قريبة أن يصل الى حق اليقين الذي كان أهل الدين يرجون بلوغه من طريق الهداية الالهية واني لجازم بأنه قد سلك أقوم المناهج لبلوغ الحق وان كان من المتعسر معرفة النتائج التي يؤدي اليها بحثه واذا فقهنا حالة المعارف على ماهي عليه الآن وجدنا شأنه المطرد أنه لم يغدنا في بعض ماقد يهمنا استقصاؤه من المسائل الا شيأ من المعرفة قليلا جدا فانا اذا استثنينا علم تركيب الحيوان لأنه قد امكنه ان يؤدي الينا شيأ من معاني الانسان على مافيه من المذاهب المتعارضة والآراء المتناقضة وعلم طبقات الارض لأنه قد فتح لعقولنا منافذ نلمح منها على بعد منشأ الحياة رأيا أن العلوم الصحيحة لم تكشف لنا الستار حتى

(١) ديكارت هو عالم رياضي جغرافي طبيعي واخص مايعرف به انه فيلسوف فرنسي شهير يدعونه أبا الحكمة الحديثة لكلامه عن طريقة تبحث عن الحق ولد سنة ١٥٩٦ ومات سنة ١٦٥٠

(٢) اسبينوزا فيلسوف ولد في أمستردام سنة ١٦٣٢ ومات سنة ١٦٧٧

(٣) باسكال هو مهندس كبير وكاتب شهير ولد في كليرمونت فراند سنة ١٦٢٣ ومات سنة ١٦٦٢ اثبت ثقل الهواء في سنة ١٦٤٨ وفي سنة ١٦٥٤ اعتزل في بورورويال دي شان حيث كتب اقليمياته وأفكاره

(٤) لايبنز هو عالم شهير ولد في لايبزج وهو مخترع حساب الفروق الدقيقة

(٥) هيجل فيلسوف ألماني ولد سنة ١٧٧٠ ومات سنة ١٨٥١

الساعة عن علة ما من العلل الاولى التي هي اهيج لشوق العقل من سواها ولكن قد يجيبني مجيب بأن هذه العلل لا ينبغي الاشتغال بها قطعا لانها ليست من متناول العقل فأقول له ماهي غاية علمك في هذا أتظن ان ماحصل من تجارب الانسان في بضعة آلاف من السنين يسوغ تحديد قواه وملكاته المتزايدة أم تريد انه يكفيه على كل حال أن يستدل الحجاب على مايجهله بنيم طمع عقله و يخمد شوق ادراكه؟ انا لا أعتقد من هذا شيئا بل أقول ان الانسان لا يسهل عليه الاستخذاء للجهل والاستكانة له أما لشرف في طبعه أو لخسة فيه

ولو انه كان يكفي للتخلص من المسائل العسيرة أن نوصف بانها معضلة لاحلتها لكان التفصي منها في غاية السهولة . كل حي يطلب النمو لجسمه ماعدا الانسان فانه هو الذي يختص من بين سائر الكائنات المضوية بطلب الارتقاء بفكره الى ماوراء حاجاته المادية فطلبه الارتقاء الفكري موجود فيه سواء سمي خيالا أو غريزة دينية ولست أدري مطلقا ماعسى ان يعود على العاملين على ازاله من الفائدة بتكلف احتقاره والزراية عليه ومن ذا الذي في وسعه منهم أن ينتزعه من النفوس الشعورية فان تطلع الانسان الى ماوراء حدود عقله من مقتضيات خلقته وليس من حقنا ان نعتبر بعض الامور التي يتطلبها المفكر خادعة أو وهمية لمجرد انها تعيير عقولنا أو تنوء عن ادراكنا فأما ان كان قصدهم تجريد ما يتصوره العقل من منتهى غايات الكمال مما يقارن تصوره من مرونات الوساوس والاوهام والاعمال المنبعثة عن النفاق والرياء فيها ونعمت وأما مدركات العقل التي شغلت من التاريخ مكانا كبيرا فلا ينبغي التعرض لها بل لابد ان يكون لها أيضا محل في تربية الناشئين

ومن هذا نرى انه لا يزال من حق الحكمة ان توجد مع العلم وانه يجب عليهما كل البعد التنافر والتنافي لأن من شأنهما التضافر والتوافق

ان كثيرا ممن يميلون الى محو دراسة المذاهب الدينية والحكمية منقادون في هذا الى حاجة طبيعية للانتقام وهم لا يشعرون فانهم قد رأوا الحكماء ورؤساء الاديان المقررة في ايامنا هذه بافوا من تعاطيهم للعظائم ومناجزتهم بالسرائر ومقارفتهم للفظائع مبلغا يأس بالعقل في اشمئزازه من سيرتهم الى الجحود المطلق فالقسيسون

هم دعاة الالحاد لا الملحدون .

ومن الذنوب تجسيم امر الالحاد فانه ذنب ضعيف في ذاته يتزلزل مذعورا امام وجدان الانسان وانما الآثام المبينة والجرائم القوية المقيتة بأن تدافع نور الهداية والعرفان هي التي يجرأ اصحابها عند اقترافها على التستر برداء الدين نعم تلك الآثام هي التي تمتاز بذلك الامتياز الهائل وهو قلب شؤون الدنيا وتشويش أحوالها فمن ذا الذي لا يعتبر حسين ارتكابها من الابهة الباطلة التي تسري من عقائد من تكسبها الى بعض ما يتمتعون به من ضروب السلطة والقوة تسمح بعض المفكرين اذا رأيتهم تغلب الشر على الخير يصيحون قائلين لأن لا يكون لنا الله خير من وجود الله ظالما (١) .

ويهيب آخرون على المذاهب الدينية والحكمية أنها لم تبين للناس بيانا مقنعا شافيا من المسائل المتعلقة بنظام العالم وتنازع الخير والشر والاضطرار والاختيار وأنا أسلم لهم ذلك غير أني أقول ان كلا منها قد سما بفكر الانسان الى العلى وغير أحوال الامم وهدى الناس الى طرائف الفنون وأحيا من الطرف واللماح ما لولاه لظل محجوبا في عوامل الصمم وكم ترى ممن يزدرون محوالدين المسيحي من تعليم الناشئين من لم يحسن التفكر فيما كان لهذا الدين من التأثير في آداب لغتنا وأخلاقنا وعوائدنا فهم يقولون أنه رؤيا خيالية رآها النوع الانساني في منامه ورآه بنشأته في طور التدلي والهمجية حبس روح الشعوب في ظلمات الجهل وكل ذلك محل النظر والبحث ولكن هيهات أن يقتنعوا واحدا من الناس بأن التيار الفكري الذي جاء به ذلك الدين فغير كل ما في الدنيا لم يكن ثم موجب لوجوده .

انا أدعوك الى دراسة هذا الدين الذي أنشأ مدنيتنا الحاضرة إنشاء حسنا أو سيئا خلافا للقائلين بابطالها وأحثك على ان تأخذ فيها بالجد وترجع فيها الى أصولها لأن

---

(١) اجدر بمثل هؤلاء النظار ان يسموا عميا فاتهم عموا عن سنن الله تعالى في الكون وجهلوا ان الشر الذي يضجون منه انما نتج من مخالفة الناس لتلك السنن فهم الذين جلبوه على أنفسهم « وما ربك بظلام للعبيد » « ولكن كانوا أنفسهم يظلمون » تعالى الله عن الظلم علوا كبيرا اه من هامش الترجمة

ما يخلص إليك من مطالعة الاناجيل لا شبه بينه وبين ما يؤخذ عن رجال الدين بحال من الاحوال فأنت ترى في الاناجيل مثلا ان المسيح كان يأبى دائما امتثال أي عمل من الاعمال الظاهرة وكان يستهدف لزراية اليهود عليه ولومهم له بمخالفته لهم في كل وقت في السبت والصوم وغسل اليدين قبل تناول الطعام وغير ذلك من الاعمال المشروعة واذا كان القلب يتزلج ببعض المواعظ الانجيلية فليس ذلك بدليل قائل المسيح انما جاء ليعلن للناس شرف صغارهم وسمو المستضعفين منهم ووجوب تكريم الطفل والحنو على المرأة الخاطئة وانك لا تجد في غير كتابه أكثر مما تجده فيه من الميل العاطف الى كل مكروب والرحمة لكل مهان ومحتقر ولا أكثر من ضروب الزجر للمتكبرين المستأثرين الذين يتعنون الناس على غيرهم من المخلوقين وقد كان حليف الفقراء ولكونه نفسه فقيرا يتبع الاغنياء على الدوام دون غيرهم بنذره وأمثاله الرائعة ولا شك ان تمكن النصرانية مع مثل هذا الادب الذي جاء به المسيح من تقوية امتياز الدرجات في الامم الخالية وتأييد مزايا الانساب وفرط التعاير في الحسب لم يحصل الا ببلوغ رجالها في المكر حد الاعجاز فتلك الامم التي تسمي أنفسها مسيحية ونعتقد انها على دين المسيح لم يدخل الايمان في قلوبها قط

اعلم ان معرفة الشيء في وقت ما من أوقات وجوده لا تعد معرفة وانما يعرف اذا عرف أصله وتاريخه ومصيره وقد نتج من اتباع البحث في الحوادث الكونية على هذا الترتيب علوم كلها جديدة كعلم تكون الارض وعلم الاجنة فطرق البحث هذه هي التي ينبغي عليك تطبيقها على دراسة المذاهب الدينية والحكمية وليس علي ان أعرض بالتصويب أو التخطئة للنتائج التي يؤدي اليها بحثك اذا حسنت فيه نيتك وصحت عزيمتك وغاية ما أبتغيه منك ان لا تقبل من الاصول على أنه صحيح الا ما تكون قد عرفت الحق فيه بنفسك

أقول ذلك وأنا أعلم اني أطلب اليك أمرا عظيما ولكن ما حيلتي ولا وسيلة غيره لتنوير عقلك وهدايتك نعم ان في الدنيا كثيرا من العلماء الثقات المشهود لهم قد عهد اليهم تحديد العقائد الصحيحة في الدين والحكمة والسياسة والاخلاق

فهم يعرفون كل شيء ويعلمون الناس كل شيء وهذا هو السبب في ان نصف المتعلمين من الناشئين يعتادون على ان يفكروا بمخ بعض افراد من الناس — ان صح لي التعبير على هذا النحو — على انه أمراً لن تعلمه قطعاً في مدرستهم ألا وهو علم الحرية فاذا كنت تطلب الحرية فعليك ان تطلب الحق في نفسك مستعيناً في طلبه بجميع ما لديك من عدد الاستدلال والنظر وانك سيحصل لك غير مرة مع احترامك وتيقنك ان تعتقد ان آراء غيرك هي آراؤك وتخطيء في كثير من المسائل قبل ان تعرف أغاليطك ولكن لا تنس ان قوت العقل كقوت الجسم لا يكسب الا بعرق الجبين وان من أخلص في البحث عن الهدى فقد أظهر بهذا البحث نفسه انه جدير بالاهتداء

وفي ختام مكتوبي أقول لك من صميم قلبي اني وليك الحميم

(المنار) لقد نطق هذا الفيلسوف بالحكمة اذ أبان ان من غريزة الانسان ان يبحث عما وراء حاجته المادية وان هذا الارتقاء الفكري مما يمتاز به وهو مبدأ الدين في نفسه وانه مادفع الناس الى الجمود الاسوء حال رجال الدين في اتجارهم بالدين وان وجدان الدين يزلزل الالحاد لانه ذنب ضعيف في نفسه وانما الذنوب القوية التي يتزلزل بها هي التي تقترف على اسم من الدين وهي ذاهبة بنور هدايته ومنفرة عنه حتى يقول العاقل ان عدم الدين خير من هذا الدين . نعم انه أخطأ في موافقة القائلين: لم تبين شيئا من نظام العالم وتنازع الخير والشر والاختيار والاضطراب: وعذره انه لم يطلع على نهاية ارتقاء الدين لجهله بالاسلام . على انه أحسن في الرد على القائلين بترك دراسة الدين وفي استخراجه محاسن الانجيل وتصريحه بأن النصارى غير مسيحيين . ومن أراد تفصيل هذه المسائل فليرجع الى مقالة (العقل والقلب والدين) من المنار . وأحسن في دعوة اميل الى الاستقلال وترك التقليد وتقدير الحرية العقلية قدرها